مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:07 العدد 01 جانفي (2023) ص 414 - 432

تطور الترسل النسوي في الأدب العربي

The development of feminism in Arabic literature

علة ثلجية *
جامعة الأغواط (الجزائر)
allata17112022@gmail.com
مخبر علم اللسان جامعة عمار ثليجي الأغواط

مختاري فاطمة
جامعة الأغواط (الجزائر)
allata17112022@gmail.com
مخبر علم اللسان جامعة عمار ثليجي الأغواط

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/11/18
تاريخ القبول:
2022/12/23.

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الدراسات الأدبية
- ✓ الفنون النثرية
- ✓ الترسل النسوي
- ✓ الدراسات النقدية
- ✓ الرواية

الملخص:

دأبت الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة على الاهتمام بفنون نثرية متنوعة، إلا أنّ اهتمامنا بالرواية والقصة كان واضحا وملموسا، وبشكل يكاد يطغى على غيره من الفنون النثرية الأخرى كالمقالة، ووصف الرحلة، والمسرحية ونحوها، حتى لقد سمّى بعضهم هذا العصر عصر الرواية، وعصر القصة، بل زعموا أنّ الرواية ديوان العرب الحديث.

وفي ظل هذا الاهتمام يغيب عن الترسل النسوي، ويهمش دورها، فلا تكاد تجد لها سوقا في الوقت الذي اتجهت إليه الناس إلى غيره من الفنون، من هنا جاءت هذه الورقة لتثبت مكانة هذا الفن الأدبي العريق، ولتبرز دوره، وتتحدث عن واقعه.

Article info

Received
18/11/2022
Accepted
23/12/2022

Abstract :

Modern literary and critical studies have always paid attention to a variety of prose arts, but our interest in the novel and the story was clear and tangible, in a way that almost dominates other prose arts such as the

* المؤلف المرسل

article, description of the journey, theatrical and the like, some of them even called this era the era of the novel, the era of the story, but They claimed that the novel is the modern Arab divan, and in light of this interest, the feminist transmission is absent, and its role is marginalized, so it hardly finds a market for it at a time when people turned to other arts, from here came this paper to prove the status of this ancient literary art, and to highlight its role, She talks about his reality.

Keywords:
- ✓ *Literary studies*
- ✓ *Prose Arts*
- ✓ *Feminist transmission*
- ✓ *Critical studies*
- ✓ *Critical studies*
- ✓ *Novel*

المقدمة :

شغل موضوع الترسل مساحة واسعة في النثر العربي **(مبارك، 1934، صفحة 33)**، فخصّه أبو العباس أحمد القلقشندي (ت .821ه) في القرن الرابع عشر بمجلدات ضخمة أرادت استجماع ما قالته العرب **(القلقشندي، 1922، صفحة 14)**، لكن المدوّنة النسوية غابت عنه كما غابت في العصر الحديث الذي انشغل فيه الأكاديميون والنقاد بالقصة والرواية والشعر والمقالة وأحيانا بالاتجاهات الفكرية والثقافية. وإن جرت الإشارة إلى كتابة المرأة فعلى استحياء. أمّا إذا ذهبنا إلى البعد "المضمر" في الترسل النسوي فإنّ الغياب هو صفته الأكيدة، إنّه وببساطة غير مدروس في الثقافة العربية المعاصرة. لهذا تراني أتناوله لا بصفته مدونة منشئ أو سجلا موضوعاتيا، وإنّما حسب منهجية أخرى تستعين بأساليب النقد الحديثة اللسانيات استعانة مدروسة لتجري تالفا تقنيا صارما، كما أود، بين الموروث البلاغي العربي من جانب ومدارس ما بعد الحداثة الشائعة الآن في الثقافات الأجنبية من جانب آخر. وقد سعيت لتجنب عبودية التبعية للغير، موروثا أو حديثا، باستحداث منهجية قادرة على قراءاته حيثيات المضمر في الترسل النسوي الحديث، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ هذه المدونة معنية بالكاتبات العربيات اللواتي كان لكتابتهن وشراكتهن في الثقافة العربية طيلة القرن العشرين سمة الحضور والفاعلية، فهناك زينب فواز ونبوية موسى وهدى شعراوي ومي زيادة وملك حفني ناصف وجوليا طعمة دمشقية و فدوى طوقان ونازك الملائكة ولطيفة الزيات ونوال السعداوي وغادة السمان وعشرات من الكاتبات الأخريات. فالذي يهمني هو فاعلية الكاتبة وطرائق تعبيرها وحجاجها.

إنّ الدراسات الأدبية في العصور الأدبية تكاد تخلو من الحديث المتخصص عن رسائل النساء، فمع كثرة ما كتب عن الأدب وتاريخه لم أقف على بحث واحد يخص أدب الرسائل عند المرأة عبر العصور على الرغم ممّا وقع تحت يدي من زاد طيب لها في هذا الفن، على مختلف اتجاهاته وتنوع أغراضه ، فلقد بلغ ما حصلت عليه من رسائل لها منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، ممّا يؤهل لأن يكون مادة للكشف والإبانة، عن اتجاهاته واستجلاء سماته وخصائصه التعبيرية عندها، ولم أقف على بحث يخص أدبها عامة أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه نشر بمجلة دمشق المجلد 62، العدد الثالث والرابع لسنة 2010م غير أنّ هذا البحث يتناول أدب المرأة العباسية بعامة من ناحية، ولم يرد فيه سوى خمس رسائل وأربع توقيعات وثانيهما بعنوان تأملات في رسائل الأدباء للأستاذ عبد اللطيف الأرناؤوط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة 2012م، وقصر الكاتب حديثه فيه على رسائل الأدباء في العصر الحديث كعبد العزيز التويجري، طه حسين، الرافعي، وغيرهم الكثير.

وانتابني شعور بالعجب حين وجدت مؤلفات جادة مستقيمة عن النثر العربي في مختلف عصوره، لم تشر من قريب أو بعيد إلى أدب الرسائل عند المرأة، من هذه المؤلفات:

1- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، للدكتور مصطفى الشكعة، فقد تخطّت صفحاته الثماني مئة، وتناول خلاله المؤلف النثر بمختلف فنونه حتى نهاية العصر العباسي، ولم يتعرض فيه لأدب الرسائل عند المرأة بل ولم يمثل فيه ولو برسالة لها.

2- النثر الفني حتى نهاية القرن الخامس الهجري د. زكي مبارك.

3- الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف.

4- في الأدب الحديث د. عمر الدسوقي بجزأيه.

5- الفنون الأدبية وأعلامها في النثر الأدبي أنيس المقدسي.

فيكاد هذا الفن عند المرأة في هذه المؤلفات وغيرها أن يكون نسيا منسيا، وكأن لم يكن لها من الرسائل ما يرشح لعمل بحث عنها يؤهل لاستجلائه ودراسته واستكناه مراميه، فقد أرسلت المرأة الرسائل وأجابت هي على رسائل.

ويرى عبد الطيف الأرناؤوط أنّ قيمة الرسائل وروعتها تكمن في – كونها تعرفنا على الأشخاص لا على النتاج الأدبي فحسب فإنّنا نجد عظماءنا في رسائلهم لا يتخذون شخصية تخالف حقيقتهم.

كما أنّها هامة جدا في كونها تكشف عن بعض الأسرار الذاتية في حياة الأديب والعلاقات العاطفية الخاصة، والميول السياسية التي يتعذر البوح بها في الآداب الأخرى.

2. الترسل النسوي في العصر الجاهلي:

للمرأة العربية مكانتها السامية قديما وحديثا، زادت سموا وتأصيلا في ظل ديننا الإسلامي الحنيف، ورأيها المعتبر في كثير من الأمور، وقد سطّر التاريخ الإسلامي للمرأة مواقف مشرفة نبيلة تستحق الإشادة والتسجيل.

وفرضت المرأة العربية نفسها على السّاحة كشاعرة وخطيبة وكاتبة في دواوين الخلافة كما هو الشأن في الأندلس ووقفنا لها على عدد كبير من الرسائل على تعدد اتجاهاتها وموضوعاتها عبرت خلالها عن الكثير من العواطف والأحاسيس الذاتية وموقفها حيال بعض الحوادث السياسية والاجتماعية، ممّا حفّزني إلى دراسة رسائلها وبيان خصائصها الفنية.

وإذا تتبعنا مسيرة رسائل النساء في العصر الجاهلي نجد أنّ موروث المرأة من هذا الفن ضئيل، بل لا يخطئنا الصواب حين نقرر أنّ محصلة الرسائل عامة قليلة في هذا العصر لقلة شيوع الكتابة آنذاك من ناحية، وعدم ميلهم إلى تدوين الشعر وسائر فنون الأدب من ناحية أخرى، وضالة القدر الممنوح للمرأة من الحرية من ناحية ثالثة، فقد ضاع أكثره ولم يبق منه غير نتف لا تؤهل لاستخلاص رأي أو توضيح سمة، بيد أنّها بطبيعة الحال تعد إرهاصا لوجود هذا الفن في العصر الإسلامي وما تلاه.

فقد أثر عن الجاهليين من الرسائل ما يصور الصراع القبلي، وما تقوم به المرأة - أحيانا- من إشعال نيران الحرب، من ذلك ما روي من أنّ سبب نشوب حرب البسوس والتي استمر أوزارها أكثر من أربعين سنة – هي: البسوس بنت منقذ التميمية، والبسوس خالة جساس بن مرة ابن ذهيل الشيباني، جاءت ونزلت على ابن أختها، وكان كليب بن وائل زوجا لأخته فسألها ذات مرة هل تعلمين على الأرض أصح مني ذمة فسكتت ثم أعادها عليها مرار فقالت: نعم: أخي جساس وندمانه ابن عمه عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهيل بن شيبان، فأوغر ذلك صدر كليب وكان للبسوس ناقة خوارة ومعها فصيل لها فلمّا خرج كليب غاضبا من قول زوجته رأى فصيل الناقة فرماه بقوسه فقتله ثم إنّ كليبا قد مرّت به إبل جساس وبها ناقة خالته فأمر كليب غلامه برمي ضرعها بالقوس فرماه فاختلط دمها بلبنها، وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر.فلمّا علمت البسوس صاحت، واذلّاه فقال جساس: اسكتي فلك بناقتك ناقة أعظم بمنها فأبت أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشر، فلمّا كان الليل أنشأت تقول وتخاطب أخا جساس وترفع صوتها تسمع جساسا:

أبا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل* فإنّي في قوم عن الجار أموات**

ودوني أزوادي إليك فإنّني* محاذرة أن يغدروا ببناتي**

لعمرك لو أصبحت في دار منقذ* لما ضيم سعد وهو جار لابناتي**

ولكنني أصبحت في دار معشر* متى يعد فيها الذئب يعدو على شاتي**

فلمّا سمعها جساس قال لها: اسكتي لا تراعي: إنّي سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة سأقتل غلّالا وكان غلال فحل إبل كليب لم ير في زمانه مثله، وإنّما أراد جساس بمقالته كليب **(محمد، 1961، صفحة 145)**.

وقد أدّت البسوس دور الراسل والمرسل إليه في آن واحد، ولعلّها قامت بذلك لتقرع سمع جساس بهذه النبرة الحادة التي تحملها الأبيات وما تنطوي عليه من تقريع وتوبيخ، ولعلّها قصدت بذلك أن توغر صدر جساس على كليب وقد نجحت.

وترسل السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها إلى رسول الله قبل بعثته طالبة منه الاتجار لها في مالها قائلة: "قد دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظيم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك "ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقي أبا طالب فقال له ذلك فقال إنّ هذا لرزق ساقه الله إليك...".

وبعد ... فيصح لنا أن نقول: "إنّ كل ما أثر عن الجاهليين من رسائل كانت شفهية يرسلها المنشئ ابتداء بغية توصيل صوته إلى المرسل إليه، أو يرسل رسولا ثقفا أمينا يؤدي مضمونها ويبلغ فحواها. وذلك **(صفوت، 1937، صفحة 312)**: "لأنّ جمهرة العرب في ذلك العصر كانت متبدية فلم تكن الكتابة فيهم فاشية ولذا كانوا يعتمدون في مراسلهم على المشافهة".

وإذا نظرنا إلى الرسالة في العصر الجاهلي - من حيث البناء- فنجد أنّها: تفتقد الكثير من الأسس المعروفة لبناء الرسالة، وكان عنصر الموضوع أكثر بروزا من غيره.أمّا من حيث الصياغة، فكانت تؤدي غالبا شعرا لمزاحمة الشعر النثر - في هذا العصر- بمنكب ضخم.

وبالنظرة المتأنية والاستقصاء التام لما أثر عن الجاهليين من رسائل النساء نجد أنّها تعد قليلة بالنسبة لمجتمع شاسع، متعدد العشائر لا تخمد حروبه، ولعلّ طبيعة الرسالة والتي من أهم خصائصها الرغبة في إخفائها وسترها وعدم إذاعتها، كانت وراء عدم تداولها وبالتالي نسيانها، ولعلّ فيما بداه الباحث يتّضح السبب في عدم كثرة الرسائل في العصر الجاهلي.

3. الترسل النسوي في العصر الإسلامي: بدأت الكتابة تشيع شيئا فشيئا مع ظهور الدين الجديد، الدين الإسلامي، الذي حثّ على العلم والتعلم، وأتاح السبل لذلك، وحرر المرأة من بعض مظاهر الحياة الجاهلية التي تمتهن كرامتها، فنظر للمرأة نظرة إجلال وإكبار، إذ جعل من حقها التعلم والميراث والمشاركة في مجالات الحياة المختلفة، وشاركت المرأة في الحياة بصروفها، وأبرز مثال على ذلك مشاركتها في الحياة السياسية كما حدث في موقعة الجمل وصفين، وقد كان للنساء في تلك المدة مراسلات سياسية تبادلنها فيما بينهن من جانب، كما تبادلنها الرجال من جانب آخر.

ومن أبرز النساء اللواتي كان لهن مشاركة واضحة في المراسلات السيدة عائشة أمّ المؤمنين فعندما همّت بالخروج إلى البصرة بعد مقتل عثمان بن عفان جاءت إلى أمّ سلمة أمّ المؤمنين في مكة تغريها بالخروج معا للمطالبة بدم عثمان، فأبت أمّ سلمة أن تجيبها، وظهرت موالاة علي بن أبي طالب ونصرته، وكتبت إلى السيدة عائشة رسالة تحاول أن تثنيها عن عزمها محاولة النصح مرة، والتحذير من عواقب الخروج مرة أخرى.

تتميز هذه الرسالة أنّها ذات موضوع سياسي، وإنهاّ من امرأة إلى امرأة، تفيض بالنصح والإرشاد والدعوة إلى التروي عند فورة الغضب كي لا يقع ما لا يحمد عقباه.

وقد توفرت في رسالة أمّ سلمة عناصر الرسالة الشكلية، إذ افتتحتها بالسلام والحمدلة، واستعمل البعدية، (عبارة أمّا بعد)، وقد ذكرت العنوان المتضمن اسم المرسل والمرسل إليه فقالت:"من أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين: **"سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو ، أمّا بعد"**. **(التميمي، 1993، صفحة 133)**

وشرعت أم سلمة بعد هذه المقدمة تبين مكانة السيدة عائشة بين المسلمين محذرة إياها من غضب الرسول الله ومعية خروجها، وقد بيّنت لها إن المرأة لم تخلق لمثل ذلك، وإلا لفرض الإسلام عليها الجهاد، ولكن جهادها جعل في بيتها ودينها، تقول أمّ سلمة: **"إنّك سُدة بين رسول الله عليه السلام وبين أمته، حجاب مضروب على حرمته، قد جمع القران ذيلك فلا تندحيه، وسكر خفارتك فلا تبتذليها، فالله من وراء هذه الأمة، لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ النساء يحتملن الجهاد عهد إليك، أما علمت أنّه قد نهاك عن الفِراطة في البلاد، فإنّ عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يُراب بهن إن انصدع، جهاد النساء غض الأطراف، وضم الذيول، وقصْر الموادة، ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصّة قعودا من منهل إلى منهل ؟ وغدا تريدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم"**.

تحاول أمّ سلمة في رسالتها أن تؤثر على المنطقة العاطفية في عائشة، وذلك بالحديث عن صلتها الحميمة برسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسم صورة سلبية لما سيكون عليه أمر الخروج مصورة معاتبة متخيلة بين الرسول والسيدة عائشة على ما قامت به.

ثم وصفت أمّ سلمة خروج عائشة أنّه هتك لحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنّ رجوعها فيه رأب لصدع الأمة، فقالت: **"وأقسم لو قيل لي: يا أمّ سلمة ادخلي الجنة، لاستحييت أن ألقي رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا ضربه عليّ فاجعليه سترك ، وقاعة البيت حصنك ، فانك انصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن نصرتهم، ولو أنّي حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتني نهش الحية الرقشاء والمُطرقة والسلام"**.

كما تلجأ أم سلمة إلى الإقناع حتى في رسالتها، كما في استدلالها بما جاء به الشرع من فرض الجهاد على الرجال دون النساء، وتمضي أم سلمة في محاولتها ثني عائشة عن الخروج بحديث حدثها إياه رسول الله، وتخوف أمّ سلمة عائشة من ذلك الحديث الذي لو سمعته لنالها الفزع والخوف، وتختم أمّ سلمة بعد هذه النصائح لعائشة بإلقاء تحية الإسلام عليها.

فكان أن ردّت السّيدة عائشة على رسالة أم سلمة برسالة عارضتها فيها، وتمتاز هذه الرسالة عن رسالة أمّ سلمة بقصرها وإن اتفقت معها في بعض العناصر الشكلية كالاستهلال بذكر العنوان وحمد الله والثناء عليه والبعدية:

"من عائشة أم المؤمنين إلى أمّ سلمة، سلام عليك، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا اله إلا هو، أمّا بعد".

تُوضّح السّيدة عائشة أنّها تلقت رسالة أمّ سلمة بما فيها من نصح ووعظ، لكنّها ترى أنّ خروجها بات أمرا ضروريا،

إذ أنّها تفصل بين طائفتين من المسلمين اقتتلتا، وإنّ حرصها على وحدة المسلمين يجعلها مدفوعة إلى عدم القعود عن الخروج بغية الإصلاح بين المتخالفين، ثم تختتم رسالتها بالسلام، كما فعلت أمّ سلمة، إذ قالت: **"فما أقبلني لوعظك، و أعرفني لحق نصيحتك، وما أنا بمعتمرة بعد تعريج، ولنعم المطلع فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين من المسلمين، فإن أقعد فعن غير حرج، وإن أمضي فإلى ما لا غنى بي عن الازدياد منه، والسّلام"**.

ولعلّه غير خاف أنّ رسالة السيدة أمّ سلمة كانت أقوى إيقاعا وأشدّ إقناعا في النفس من رسالة السيدة عائشة التي مضت مصممة على فكرة الخروج، تلك الفكرة التي حاولت أمّ سلمة عنها بالمودّة والرفق، ولكن من غير طائل.

ومن الرسائل السياسية التي تدور في المضمار نفسه، ما كتبته السيدة أمّ سلمة إلى علي بن أبي طالب، إذ تتميز هذه الرسالة في أنّها موجهة من امرأة إلى رجل، تعلن فيها أمّ سلمة تأييدها وولاءها لعلي بن أبي طالب، وتعتذر من عدم الخروج معه طاعة لله، إذ نهى عن خروج النساء، وأقرّ بلزومهن بيتهن، لذا فإنّها تبعث ابنها مندوبا عنها وتوصية به خيرا .

وتسير رسالة أمّ سلمة على هذه الصورة (صفوت، 1937، صفحة 312): **"أمّا بعد، فإنّ طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة، ومعهم ابن الحزان، عبد الله بن عامر بن كريز، ويذكرون أنّ عثمان قتل مظلوما، وإنّهم يطلبون دمه، والله قافيهم بحوله وقوته، ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيوت، لم أدع الخروج إليك، والنصرة لك، ولكني باعثة نحوك ابني، عدل نفسي عمر بن أبي سلمة، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا "** .

وواضح للعيان أنّ رسالة أم سلمة هذه تلتقي مع رسالتها الانفة في بعض المحاور، ولاسيما معارضتها فكرة الخروج، واستنادها إلى النص الشرعي الداعي إلى إقرار النساء في بيوتهن وعدم خروجهن.

كانت السيدة عائشة في تلك الأحداث العصبية ذات إصرار كبير على الخروج رغم كل النصائح التي وجهت إليها، والرسائل التي كتبت إليها، لكنها كانت ترى فيما هي عازمة عليه الصواب والسداد، فقد ردّت بالمثل على الأشتر الذي نصحها بلزوم بيتها وعدم الخروج، وتبدو السيدة عائشة في ردها متمسكة بفكرة الخروج وملاقاة قتلة عثمان بن أبي عفان والانتقام منهم، وهي ترى أنّ الأشتر لم يقدم النصح لها، وإنّه لا يعدم أن يكون مثبطا حالا عاديا من رؤوس الفتنة، من دعاة الفرقة الذين خرجوا على الأئمة، وشاركوا في قتل عثمان، لذا فلا تملك السيدة عائشة إلا أن تكشف حقيقة وتقولها على الملأ، وان تجيبه بالقتال، إذ قالت: **"أمّا بعد، فإنّك أول العرب شب الفتنة، وقد علمت أنّك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة وينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك وفهمت ما فيه، وسيكفينك الله، وكل من أصبح مماثلا لك في ضلالك وغيك إن شاء الله"**.

ويتراءى من هذه المراسلات أنّ المرأة حظيت في العصر الإسلامي بدرجة من الحرية والمشاركة الفعلية في الأحداث السياسية، إذ وجدناها ترفض مهادنة أو صلحا، بل تطلب المؤازرة والنصرة، وتحث على الانضمام إلى حزبها، كما فعلت السيدة عائشة في رسائلها إلى أم سلمة والاشتر، وكما هو الشأن في رسالة وجهتها السيدة عائشة أيضا إلى زيد ابن صوحان تطلب انضمامه إلى حزبها وتثبيط الناس عن علي بن أبي طالب.

تسلك السيدة عائشة في رسالتها هذه مسلكا دقيقا، فهي تحاول التأثير على المنطقة الوجدانية العاطفية في المخاطب، مبينة علو منزلة زيد، فهو ذو شرف، وأبوه من الرجال المعروفين في الجاهلية والإسلام، وهو بالمثل شرفا وسيادة، وهي بذلك تسلك المسلك القائم على الثناء العاطر على المخاطب ابتغاء استمالته حتى يكون إلى جانبها، ثم تتحدث عن مقتل عثمان ظلما، وتطلب منه أحد الأمرين: إمّا الانضمام لحزبها، أو العمل على تثبيط الناس عن علي بن أبي طالب، وأخيرا تطلب منه الانتظار حتى تصله تعليماتها، وهي بذلك ترسم مخططا عسكريا فتطلق الأوامر وتعطي التعليمات والتوجيهات، فقد جاء في الرسالة: **"من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، سلام عليك. أمّا بعد، فإنّ أباك كان رأسا في الجاهلي ، وسيدا في الإسلام، من أبيك بمنزلة المصليّمن السابق يقال كاد أو لحق، وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان ، ونحن قادمون عليك ، والعيان أشفى لك من الخبر، فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فثبط الناس عن علي بن أبي طالب وكن مكانك حتى يأتيك أمري والسلام"**.

يتّضح ممّا سبق أنّ المرأة تعاطت الكتابة في هذا العصر، فجاد قلمها برسائل سياسية عبرت عن انتماءاتها السياسية والحزبية، وبعثت إلى جهات تطلب مؤازرتها، والى أخرى ترفض قبول نصيحتها تدعو إلى الانسحاب والتراجع، وقد عرفت المرأة العربية بحق قواعد التراسل والتزمت بها شكلا ومضمونا.

4. الترسل النسوي في العصر الأموي:

ظلت نار الفتنة في بداية هذا العصر ثائرة، والنفوس حائرة والانشقاقات قائمة، والناس بين مؤيد ومعارض، ولم يرض حزب علي بهذه النهاية التي كانت نتيجتها تولي معاوية الخلافة والإطاحة بشيعته، فوفدت على معاوية الوفود شاكية من ولاته وتعسفهم، مؤنبين ومقرعين له على سفكه دماء المسلمين واستباحته حرمتهم، وفي غمرة هذه الأحداث والاعتراضات شاركت المرأة أيضا في صنع الحدث السياسي، أمثال نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان – رضي الله عنه– فقد روي عن الشعبي أنّ نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان ابن عفان كتبت إلى معاوية كتابا مع النعمان بن بشير، وبعثت إليه بقميص عثمان مخصوبا بالدماء.

وقد افتتحت نائلة رسالتها ببيان نعمة الله على معاوية وحزبه إذ نصرهم، وتذكر فيها الخليفة بحق عثمان بنصره والأخذ بثأره، وتعمد أثناء ذلك إلى حشد طائفة من مناقب عثمان، فهو أمير المؤمنين، وهو من أوائل المسلمين، ومن المجاهدين، وهو بعد من المبشرين بالجنة، وتجري رسالة نائلة على هذه الصورة: **"من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد: فانّي أدعوكم إلى الله الذي انعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه، وأنشدكم الله وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعزم الله عليكم إنّه قال: "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله "، فإنّ أمير المؤمنين بغي عليه، ولو لم يكن لعثمان عليكم إلا حق الولاية لحق على كل مسلم يرجو إمامته أن ينصره، فكيف وقد علمتم قدمه في الإسلام، وحسن برئه، وإنّه أجاب الله، وصدق كتابه، واتّبع رسوله، والله أعلم به إذ انتخبه، فأعطاه شرف الدنيا والآخرة".**

وتأخذ نائلة تقص على معاوية الجريمة البشعة التي ارتكبت بحق الخليفة المغدور ومخطط سير العملية التي دبرت ضده، إذ تصور كيف حوصر في بيته مع الحراسة المشددة التي فرضت عليه، ومنعه من كل شيء حتى الماء مدة خمسين يوما، ثم تذكر أسماء المشتركين في هذه الجريمة والقبائل المشاركة فيها أيضا، فقالت: **"إنّ أهل المدينة حصروه في داره وحرسوه ليلهم ونهارهم، قياما على أبوابه بالسلاح، يمنعونه من كل شيء قدروا عليه، حتى منعوه الماء ، فمكث هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى علي ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير، فأمروهم بقتله، وكان معهم من القبائل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب، فهؤلاء كانوا اشد الناس عليه".**

ينال تصوير الجريمة البشعة جزءا مهما من الرسالة، إذ راحت نائلة تصف وصفا دقيقا كيفية قتل عثمان وأصحابه ظلما وعدوانا بغير حق، وتختم نائلة بطلب النصرة وتحرض على الأخذ بثار عثمان، وتستدعي الصالحين إلى القيام بواجب النصرة إذ أنّها تعد الخذلان عن مناصرته مشاركة في الجريمة، والإثم، ثم لا تملك إلا أن تدعو لعثمان بالرحمة، واللعنة على قتلته، تقول: **"وقد أرسلتُ إليكم بثوبه عليه دمه، فإنّه – والله – إن كان أتم من قتله فما سلم من خذله، فانظروا أين أنتم من الله، وإنّا اشتكي كل ما مسّنا إلى الله عزّوجلّ واستصرخ بصالحي عباده، فرحم الله عثمان، ولعن قتلته وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة، وشفي منهم الصدور".**

5. الترسل النسوي في العصر العباسي:

أتاح العصر العباسي بظروفه الجديدة للمرأة أن ترتاد الأدب بفنونه المختلفة ، فكما نظمت الشعر أجادت النثر، فخطبت وأوصت وكتبت الرسائل، بل أنّها نوعت في موضوعاتها، فإذا كانت المرأة في عصر صدر الإسلام والعهد الأموي طرقت باب الرسائل السياسية، فان الجديد في رسائل المرأة في العصر العباسي أنّها توسعت أكثر فأكثر فشملت الرسائل الأخوانية التي عبرت فيها المرأة عن عواطفها ومشاعرها وأحاسيسها الخاصة. ومن الرسائل التي تمثل هذا الجانب رسالة السيدة زبيدة إلى المأمون في الاستعطاف إذ مضت في رسالتها تطلب عفوه ورضاه، وتدعو له بالخير، و تستميل قلبه بعباراتها اللطيفة، وقد بدت في غاية الضعف والاستكانة والحاجة إلى نصرته، وهي تتمثل في ذلك بالمقولة: "ارحموا عزيز قوم ذل".

ونلحظ أنّ رسالتها جاءت في قسمين، تمتدح في الأول المأمون وتثني على شريف خصاله، وتبين في القسم الآخر مدى حاجتها إلى العفو والمساعدة على نوائب الدهر، فها هي تقول: **"كلّ ذنب يا أمير المؤمنين – وإن عظم– صغير في جنب عفوك، وكل زلل – وإن جلّ حقير عند صفحك، وذلك الذي عودك الله ، فأطال مدتك، وتمم نعمتك، وأدام بك الخير، ورفع بك الشر، هذه رقعة الواله الذي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر، وفي الممات لجميل الذكر، فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلّة حيلتي، وان تصل رحمي، وتحتسب فيما جعلك الله طالبا، وفيه راغبا، وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعي إليك". (الجاحظ، 1423 هـ، صفحة 282)**

يبدو أنّ السيدة زبيدة كتبت هذه الرسالة إلى المأمون بعد مقتل ولدها الأمين في حرب أهلية طاحنة، فراحت تقدم للمأمون صورة مؤلمة لما انتهت إليه حالتها بعد أن أصيبت بابنها، معتمدة في ذلك ما يربطها بالمأمون من أواصر الرحم، إذ هي زوج أبيه الرشيد، الذي تتخذه شفيعا لها، وهي تستمر في هذا المنحى لتذكر المأمون بما يلزم الابن من رعاية زوجة أبيه، التي تقوم مقام أمه .

ومن رسائل الاستعطاف أيضا رسالة شكلة، أم إبراهيم المهدي، إلى المأمون وقد ردّت شكلة بهذه الرسالة على رسالة بعثها إليها المأمون يتوعدها فيها بسبب عصيان ابنها إبراهيم وخروجه على السلطة، وتمتاز رسالتها بالإيجاز الشديد والتركيز والتكثيف ، فهي تحمل طلب العفو، وتضع نفسها في مقام أمه لكبر سنها، فلا تؤخذ بذنب ابنها إبراهيم، لأنّ الإنسان وحده المسئول عن جرائره، ولا يحمل وزر غيره، وتنهي رسالتها بالسلام الذي تودّه من الخليفة وتنشده لنفسها، إذ قالت: **"إنّا يا أمير المؤمنين أم من أمهاتك، فإن كان ابني عصي الله فيك فلا تعصه في، والسلام".**

وشاعت في العصر العباسي إلى جانب رسائل الاستعطاف رسائل الهدايا التي كانت تتبادل مع الخلفاء والوزراء والقواد والقضاة والعمال والولاة والمغنيين وغيرهم، ومن ذلك رسالة بعثت بها جارية إلى المأمون، وليس الغريب في الرسالة إنّما في الموضوع الذي دارت حوله الرسالة، وهو وصف حبة تفاح وحديث عن عظم فوائد التفاح، وإقران هذه الرسالة بحبة تفاح.

افتتحت الجارية الرسالة بتصوير تنافس الرعية في تقديم الهدايا له، ومن ذلك نستشعر حرص الرعية على تقربهم إلى الخليفة ومحاولة نيل الحظوة عنده، وكانت هذه الجارية من بينهم، ثم تبين الجارية مزايا الهدية التي قدمتها للخليفة، فهي خفيفة الوزن، قليلة الكلفة، عظيمة الفائدة، جميلة المنظر: **" إنّي يا أمير المؤمنين لما رأيت تنافس الرعية في الهدايا إليك، وتواتر ألطافهم عليك، فكرت في هدية تخف مؤونتها، وتهون كلفتها ويعظم حظرها، ويحل موقعها، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت، ويكمل فيه هذا الوصف إلا التفاح". (عبد، صفحة 277)**

ومن ثم تشير الجارية إلى اقتصارها في الهدية على حبة تفاح واحدة، وتؤكد أنّ هذا العدد له رمز إذ له دلالات كثيرة، وكأنّما قصدت أن يستأثر الخليفة وحده بالهدية، فيتمتع بحسن التفاحة المهداة وحده، ولا يصرفها إلى غيره، حتى إذا كان موعد تناولها اختص بها وحده دون جلسائه ، فالجارية تحاول الاستئثار بالخليفة، لأنّ استئثار الخليفة بهديتها هو في واقع الأمر استئثار بمرسلة الهدية. فقالت: **"فأهديت منها واحدة في العدد، كثيرة في التصرف".**

كما حرصت الجارية أن تقرب الهدية أكثر من نفس الخليفة، فاحتجت لذلك بأقوال الخلفاء والفلاسفة والأطباء والشعراء في فائدة التفاح، كما احتجت بقول الرشيد والد الخليفة، إذ قالت: **"وأحببت يا أمير المؤمنين إن أعرب لك عن فضلها، واكشف لك عن محاسنها، واشرح لك لطيف معانيها، ومقالة الأطباء فيها، وتفنن الشعراء في وصفها، حتى ترمقها بعين الجلالة، وتلحظها بمقلة الصيانة، فقد قال أبوك الرشيد رضي الله عنه: أحسن الفاكهة التفاح، اجتمع فيه الصفرة الدرية، والحمرة الخمرية، والشقرة الذهبية، وبياض الفضة، ولون البرّ يلذ بها من الحواس العين ببهجتها، والأنف بريحها، والفم بطعمها".**

وتضيف فتقول: **"وقال أسطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة، واجتمع إليه تلاميذه: التمسوا لي تفاحة اعتصم بريحها، واقضي وطري من النظر إليها. وقال إبراهيم بن هانئ: ما علل المريض المبتلى، ولا سكنت حرارة الثكلى، ولأردت شهوة الحبلى، ولا جمعت فكرة الحيران، ولا سلت حسيفة الغضبان، ولا تحيت الفتيان في بيوت القيان، بمثل التفاح".**

وربما كانت الإشارة الثانية لتكون الجارية نفسها المقصودة بحبة التفاح، عندما تحدثت عن أن حمل الخليفة حبة التفاح لا تؤذي وحتى إن ضرب بها فهي لا تؤلم، وفي الواقع أنّ الإنسان إذا رمى بتفاحة قد تؤلمه، لكنها ترى في نفسها راحة الخليفة وإسعاده، فقالت: **"والتفاحة يا أمير المؤمنين إن حملتها لم تؤذك، وإن رُميت بها لم تؤلمك، وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح من الخضرة والحمرة والصفرة وقال فيها الشاع:**

حُمرة التفاح مع خضرته * أقرب الأشياء من قوس قزح**

فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح**

ثم عن الأذن كي تطربني* طرفك الفتان قلبي قد جرح**

وأخيرا تصف هذه الجارية للخليفة كيفية تصرفه بالتفاحة عند وصولها إليه إذ توصيه أن يحسن التصرف بها، فتطلب منه أن يتناولها بيمينه، وينظر إليها بحسن الرعاية، ولا يبعدها عن عينه، ولا يؤذها ولا يصرفها لغيره، بل ليخص نفسه بها هنيئا مريئا، وربما كانت هذه الإشارة الثالثة إلى أنّ المقصود بالتفاحة الجارية نفسها، ولكن كان ذلك منها إيحاء لا تصريحا.

إنّ المرأة في العصر العباسي تعاطت كتابة الرسائل وحافظت على شكلها وجددت في موضوعاتها، فطرقت أبوابا لم تطرقها في العصور المارة، كرسائل الاستعطاف والهدايا وغيرها من الأخوانيات والرسائل الأخوانية وقد شاركت النساء من الجواري والحرائر في هذا اللون الأدبي فكانت لها رسائلها اللطيفة.

6. الترسل النسوي الأندلسي:

إنّ أحسن وضع للمرأة عند العرب في العصور الوسطى كانت تحظى به المرأة العربية، في الأندلس، حيث تمتعت المرأة بمكانة عالية في المجتمع برغم وجود نظام الحريم في القصور، وخرجت نساء الأندلس بنشاطهن إلى الحياة العامة سواء في ذلك سيدات المجتمع الراقي أو بنات الطبقة الفقيرة والجاريات فكان منهن الشاعرات والباحثات في العلوم وتلقين العلم تماما كالرجال وسجل تاريخ الأندلس صفحات من المجد للنساء . **(خفاجي، 1992، صفحة 85)**

وينقل لنا عن كونجه، قائمة بأسماء من كان بقصر الخليفة من النساء المثقفات، منهن "لبنى الفتاة العالمة بالنحو، والشعر والحساب وسائر العلوم والكاتبة البارعة التي كان يعتمد عليها الخليفة في كتابة رسائله الخاصة ...

ونستطيع أن نضرب على ذلك مثلا منهن، حيث أنّ من أبرز النساء اللائي صدحن أصواتهن في سموات الأدب، وحلقت في فضاء الشعر الترسلي، وتفتّحت أزاهر أدبهن غضة، وتضوّع ورد عبيرهن نديا رقيقا هامسا دافئ، فكان رائع المعاني، ندي النغمات دفق الهمسات، لطيف الخيال جميل الصورة.

وهكذا ارتقى فن الترسل الشعري عبر العصور مزاحما الترسل النثري فاتحا المجال للتنافس بين الشعراء لتبيان قدراتهم الشعرية فكان هذا اللون المرآة العاكسة للنفس البشرية، والوثيقة الشاهدة على خبايا العصور ومضامينها الفنية والإبداعية، والشعر في الأساس ما هو إلا رسالة، ولكن الفرق الذي نبحث عنه هو أن تحمل هذه الرسالة قالب الرسالة وأن تستوفي شروطها التي ذكرت آنفا خاصة الإرسال وانتظار الرد من المُرسَل إليه. **(خفاجي، 1992، صفحة 85)**

وتسلسلا نجد أنّ فن الرسائل الشعرية في الأندلس يروي لنا أنّ أصواتا نسائية عانقت أسماع الأمراء، ومنهن حسانة التميمية، وأسماء العامري، والغسانية البجّانية، وعائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية وغيرهن كثيرات لا يحصون.

أكثر المساجلات التي تمتاز بالجرأة إنّما يكون مرسل على الأعم الأغلب من الشاعرات الجواري لغاية نفعية إمّا حبا للظهور أمام مولاها والحضور عنده، أو للتنفيس عن حالة العبودية في داخلها والثقة بجمالها وحسن مفاتنها عرضا لبضاعتها.

اقتران شعر الأميرات بشعر الجواري بالمعاني ذاتها فشكلت ولّادة ظاهرة متفردة في الجرأة ففتحت المجال لغيره الا للاحتذاء بها لأنّها تمثل قامة سلطوية (دينية ودنيوية) كونها بنت الخليفة بل أنّها أقرب للابتذال في مساجلاتها مع ابن زيدون. ومثلت نزهون القلعية الغرناطية أنموذجا - في بعض أشعارها- للبذاءة وقسوة الرد فقد كان في شعرها نوع من التحلل والابتذال والفحش صراحة غير معهودة وجرأة غير مألوفة الخطاب ارتضتها روح العصر ومعطياته ممّا يشير إلى نفسية متحررة ماجنة.

تبرز رؤية الشاعرة الأندلسية الذاتية في شعرها الغزلي عبر منظومة الألفاظ وتراكيب اللغة مستخدمة مرة بالإيحاء من خلال هذه الألفاظ ومرة من خلال المباشرة ووضوح اللفظة وقصيدتها .

انمازت بعض نصوص غزلهن الشعرية بمطالع تحمل الثقة والجرأة بان تكون هي المبادرة بالخطاب واللقاء، فالدعوات الصريحة في مطالع الأبيات لم يألفها الشعر النسائي العربي بان تكون هي المبادرة بالخطاب لإفراغ المشاعر من كتبها.

7. الترسل النسوي في العصر الحديث:

أمّا رسائل العصر الحديث فنسرد ما دار بين غادة السمان وغسان كنفاني .. حيث كان كنفاني يحب غادة، ويطرز لها الرسائل الكثيرة، التي جمعتها غادة ونشرتها في وقت لاحق، مكتفية بالرسائل التي أرسلها هو ولم تنشر قصائدها التي كتبتها هي لغسان ... وقد أثارت ضجة كبرى إبّان نشرها عام 1993.

وفي أوروبا كان جان بول سارتر و سيمون دو بوفوار الفرنسيان قد نشرا ما بينهما من رسائل، ومازال المتحف الوطني في باريس يحتفظ بنسخة منها، .. فقد كان سارتر يروي لها كل ما يصادفه في يومه ... وقد بدا الحب بينهما بإعجاب في الأفكار وتخرجا من السوربون سويا، فعملا في التدريس، كل في مكان فكانت المكاتيب لغة التواصل بينهما إلى أن التقيا.

وأمّا الأديبة مي زيادة فكانت رسائلها أدبية موجهة لعدّة أطراف منها القريب كالعقاد الذي يقول: **"لو أنّني اكتشفت عواطف مي في وقت مبكر لتغيرت حياتي" (الشناوي، 1957، صفحة 30)**

ولا أدري هل يقصد الزواج منها، وقد كان أعزب لم يتزوج سوى (سارة) في روايته وسارة فتاة يهودية يقال أنّ العقاد أحبّها. وترجم حبها في رواية أدبية جميلة .. ومنهم أحمد لطفي السيد الذي ما كان يسافر إلى أيّ مكان دون أن يمر للسّلام على مي، وكانت تكتب له من ألمانيا حيث تقيم، ويكتب لها من القاهرة، وترافقه كدليل سياحي في قلبه وفي تنقلاته ... فقد كتب السيد في إحدى رسائله إليها حين كان رئيس تحرير"الجريدة" **"ولست بحاجة إلى ندائك من بعيد أو قريب فأنت من نفسي أقرب من أن تناديك...". (الشناوي، 1957، صفحة 30)**

وقد تأخذ الرسائل الأدبية منحى آخر كالتي كانت بين جبران ومي حيث تبادلا الرسائل لأكثر من عشرين عاما دون أن يتقابلا فكانت مي التي أحبّت جبران وأحبّها على البعد تقول: "ذاك هو مصيبتي"، وفي كتاب رسائل جبران التائهة التي جمعها رياض

حنين عام 1983 في بيروت قرابة مئتي رسالة بين جبران وآخرين وأخريات منها 19 رسالة لم تنشر قبل ولادة الكتاب ... تبادلها جبران مع شخصيات أدبية وسياسية عربا وأجانب بالعربية والانجليزية ذيلت بتوقيعه وإشاراته وكلماته للعرب اللبنانية المحلية أحيانا ... ومنها رسائله مع مي التي نشرتها مجلة أكتوبر في العدد 214 عام 1980 تحت عنوان (الشعلة الزرقاء) وقد قال عنها توفيق الحكيم بعد قراءتها: "إنّها مكتوبة بندى الحب السماوي" ومنها رسائله إلى ماري عزيز أرملة عيسى الخوري الثرية وقد كانت تقدم له الدعم المادي في المهجر وكانت تحبه في الوقت نفسه، وقد أقامت في بيتها صالونا أدبيا لأدباء المهجر في البرازيل(رسائل جبران التائهة). ومنها كذلك رسائل جمعته من خلال السطور والكلمات بالشاعر المعاصر ميخائل نعيمة، وغيره..

وما تلك الرسائل ببعيدة عمّا كانت عليه رسائل الجاحظ وابن زيدون في الزمن الماضي، فهذه نازك الملائكة تكتب إلى عيسى الناعوري رئيس تحرير مجلة القلم الجديد الأدبية، تشكو بدر شاكر السياب الذي ينسب إلى نفسه أنّه مكتشف الشعر الحر (قصيدة التفعيلة) والملائكة ترى أنّها أحق بتلك النسبة فهي مكتشفتها من خلال ديوانها (شظايا ورماد) 1949 وقصيدة (الكوليرا) 1947 التي كتبتها تعاطفا مع الشعب المصري إثر تفشي الكوليرا بين أبنائه، حيث حصدت أرواح الناس بالمئات آنذاك .. وتعيب على السياب أنّه في ديوانه (أزهار ذابلة) يدعي ما ليس له به حق، بينما الاكتشاف يعود إليها قبل صدور ديوانه في أواخر الأربعينات، وإن كانت تنشر في الصحف والمجلات قبل أن تجمع أشعارها في دواوين فتقول في إحدى رسائلها: **"من الممكن طبعا أن أكتب إلى مجلة الآداب أو الأديب لأعلن رأيي في القضية إلا أنّني في الواقع لا أجد شيئا أتفه ولا أقبح من أن أثير ضجة حول قضية تافهة مثل: من صاحب الحق في الشعر الحر؟ نازك الملائكة أم بدر شاكر السياب ؟".** والحق يقال أنّ كتاب نازك الملائكة قضايا الشعر العربي المعاصر لكتاب قيم اشتمل على التفعيلات والبحور والأوزان فحري بأيّ شاعر أن يقرأه، دون التحيز لجهة على حساب أخرى. **(الأرناؤوط، 2012، صفحة 50)**

التمظهرات البلاغية والخطابية للترسل النسوي العربي: 8.

الأسلوب المرسل:1.8

تمثلت المرأة الأسلوب المرسل في رسائلها فقد اعتمدت على الإخبار، لاسيّما في مدة الاضطرابات السيسية التي شهدها العصر والأحداث التاريخية بدء بحادثة مقتل عثمان ابن عفان، ومن ثم انقسام الناس بسبب الخلافة إلى شيع وأحزاب، فقد تبادلت المرأة الرسائل ونظرا لجديّة الموقف وتأزمه وحاجتها إلى إنشاء رسائل إبلاغ وتذكير مالت إلى الأسلوب المرسل الحر، وهذا مقطع من رسالة أمّ سلمة رضي الله عنها، إلى أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر عندما همّت بالخروج إلى الجمل: "**يا عائشة إنّك سُدّة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته ....هاتكة حجابا جعله الله عليّ".**

ويندرج في هذا الأسلوب بعض رسائل المرأة الأموية ولاسيّما رسالة نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان التي وصفت فيها مقتل عثمان بن عفان، رضي الله عنه ، وقد طغى على رسالتها طابع الاسترسال الذي فرضه وصف الحادثة مع عنايتها باللفظة واختيار المناسب منها، واستعمال بعض فنون البديع من غير تكلف، فقد جاء فيها: "**...ثم جاء نفر من أصحابه فقالوا .... أن لا تقربوه بسوء حتى تكلموه وتخرجوا، فوضه السلام، ولم يكن إلا وضعه".**

وأضافت نائلة إلى السّمات الفنية في أسلوبها استعمال عنصري الحوار والحركة، و التناص في المقطع الذي تناولته من الصحيفة التي بعث بها ابن الزبير وجماعته إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه".

السرد والحوار: ويتجلّى أسلوب السرد في الرسائل التي يتجاوز غرضها الإبلاغ والتهديد وربما كان أغلبها في الاستعطاف والشكوى، كما هي الحال في رسالة نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان في رسالتها إلى معاوية بن أبي سفيان، إذ قضت

عليه حادثة مقتل عثمان – رضي الله عنه – بكل جزئياتها وتفصيلاتها، وتركت القارئ يتمثل الحدث تمثلا دقيقا بكل ملامحه وأجزائه ودقائقه ولوحاته، وكأنّه يراه معروضا أمامه:**"إنّ أهل المدينة في داره وحرسوه ليلهم ونهارهم ....فحرقوا باب الدار".**

استندت نائلة في رسالتها إلى السرد المتلاحق لتبين الظلم الذي وقع على عثمان بن عفان وتوضح بشاعة الجريمة ، ورفض عثمان بن عفان لقتل المسلمين منهم . **(أحمد، 1987، صفحة 163)**

ثم تابعت نائلة سرد الحادثة بتفصيل دقيق ولعلها نجحت في هذا السرد المفصل لأنّها كانت شاهد عيان على حادثة مقتله، فكان سردها متلاحقا ومفصلا حتى استطاعت أن تنقل ما داربين الخليفة عثمان وخصومه بكل دقة: **" ودخل عليه القوم يقدمهم محمد بن أبي بكر ، فاخذ بلحيته ، ودعوه باللقب، فقالّ: إنّا عبد الله وخليفته ".**

الإيجاز: ومن أمثلة الإيجاز في الرسائل ما تبادلته السيدة عائشة بنت أبي بكر– رضي الله عنها– مع علي بين أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .

فرسالة عائشة بنت أبي بكر إلى معاوية بن سفيان حملت في كلماتها القليلة المعاني الكثيرة، إذ اقتصر غرضها على الإبلاغ والتهديد، فكان ذلك سببا في الإيجاز:" **أمّا بعد فإنّ من يعمل بمساخط الله يصر حامده من الناس ذاما له، والسلام ".**

اتّسمت رسالة عائشة – رضي الله عنها- بالإيجاز من غير إخلال بالمعنى، إذ احتوت رسالتها أهم عناصر الرسالة، ولم تبدأ بالبسملة على الرغم من أنّها كتبت في العصر الإسلامي، لكن المسوغ لذلك هو أنّ غرض الرسالة هو التهديد والوعيد، وموقف السيدة عائشة من معاوية بن أبي سفيان لم يجعلها تبدأ بالبسملة واكتفت بعبارة البعدية، ويشكل المتن قلب الرسالة التي جعلته السيدة عائشة ينبض بمعان كثيرة حملتها بين طياتها الجملة الشرطية ليتحقق المراد.

ونجحت المرأة العربية في المدة المدروسة في تكثيف عباراتها مع القدرة على الإبلاغ والتوصيل، فقد بعث عائشة – رضي الله عنها– رسالة إلى الأشتر: **"أمّا بعد فإنّك أوّل العرب، ودعا إلى الفرقة، وخاف الأئمة، وسعى في مقتل الخليفة، وقد علمت انك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة وينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك، وفهمتما فيه، وسيكفينك الله، وكل من أصبح مماثلا لك في ضلالك وغيك إن شاء الله ".**

وقد كان لاحتدام الخصومات السياسية التي ازداد لهيبها بين الإمام علي ومناوئيه وفي مقدمتهم معاوية أثر واضح في تفاوت الرسائل التي كتبتها المارة بين الإيجاز والإسهاب، فقد اقتضت الظروف السياسية أثناء الفتنة الأهلية وبعدها تحبير الرسائل الموجزة إلى جانب تلك الرسائل الطويلة، إذ قد يكون الإيجاز ابلغ الدلالة على أداء ما يرمي إليه الخصوم ورؤساء الكتل السياسية المتناحرة.

أمّا في الرسائل، فقد اقترن استعمال التكرار بغرض الرسالة، فالرسائل التي غرضها الإبلاغ مالت إلى الإيجاز والابتعاد عن أسلوب التكرار، بينما جنحت الرسائل التي هدفها الاستعطاف إلى استعمال التكرار، وقد أدّى بها إلى ذلك غرض الاستعطاف، إذ أنّ المُرسِل يهمه كسب العطف والعفو، فيلجا إلى تكرار المعنى وتأكيده، ومن ذلك رسالة السيدة زبيدة إلى المأمون تستعطفه، فقد كررت الجملة نفسها بلفظ مختلف، فقالت: **" كل ذنب يا أمير المؤمنين – وان عظم – صغير في جنب عفوك، وكل زلل وإن جلّ – صغير عند صفحك" (صفوت، 1937، صفحة 325).**

ومثل ذلك رسالة جارية إلى المأمون في إهدائه تفاحة تحثه على الاهتمام والعناية بتلك الهدية: "حتى ترمقها بعين الجلالة، وتلحظها بمقلة الصيانة". يخلص الدارس أنّ التكرار الذي استعملته المرأة في الكلمات والجمل لم يأت عشوائيا إنّما اهتدت إليه وعمدت إلى توظيفه في خدمة النص ليحقق قيما دلالية وبلاغية.

الاقتباس: استشهدت به المرأة في الرسائل فنائلة زوج عثمان بن عفان افتتحت رسالتها إلى معاوية بالآية الكريمة:

"وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله ".

مزج الشعر بالنثر: كانت هذه الظاهرة بارزة في العصر العباسي في أدب طبقة الجواري لاسيما أنّ النخاسين كانوا يحفظونهن الشعر ليزيدوا في أثمانهن، فقد كانت الجارية تكتب النثر إلى جانب نظم الشعر بل قد تجمع بينهما أحيانا كما فعلت جارية في رسالة بعثتها إلى المأمون تهديه تفاحة فبعد أن أسهبت في وصف التفاحة وذكر محاسنها وأقوال العلماء والفلاسفة فيها، وصفتها في أبيات من الشعر: **(طيفور، 1324 هـ، صفحة 104)**

حُمرة التفاح مع خضرته * أقرب الأشياء من قوس قزح**

فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وقرح**

ثم عن الآن كي تطربني* طرفك الفتان قلبي قد جرح**

ومن الطريف أن تنهي هذه الجارية رسالتها بالدعاء للخليفة بشطر بيت لكثير عزة وهو:

هنيئا مريئا غير داء مخامر

وعجزه: لعزة من أعراضنا ما استحلت

المضمر في الترسل النسوي الحديث: 2.8

بعد أن شغل الترسل مساحة كبيرة في الأدب العربي، وقد خصّه أبو أحمد العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـ) في القرن الرابع عشر بمجلدات ضخمة لكن المدونة النسوية غابت عنه كما غابت في العصر الحديث حيث انشغل الكل في القصة والرواية والشعر والمقالة وأحيانا بالاتجاهات الفكرية، وتكشف عن سر هو أنّه إذا ما ذهبنا إلى البعد المضمر في الترسل النسوي، فإنّ الغياب هو صفتهن الأكيدة وإنّه غير مدروس في الثقافة العربية المعاصرة. وندرس المضمر في الترسل النسوي العربي بأساليب النقد الحديث واللسانيات استعانة مدروسة لتجري تألفا تقنيا، بحيث سعينا إلى تجنب التبعية للغير، موروثا أو حديثا، باستحداث منهجية قادرة على قراءة حيثيات المضمر في الترسل النسوي الحديث.

إنّ فكرة تحري الأبعاد المهملة في الكتابة النسوية، وتقصي المضمر القابع في الظل بصفته نافذة على الكوابح، والمحرمات التي حتمت طرائق الإضمار والمكايدة، إضافة إلى أن المضمر النسوي يزاول لعبة مزدوجة، فهو المتصالح مع الكلام العامي، والشاذ أحيانا، وهو الخارجي الذي يرمي بسهامه، أيضا في حين آخر المتسلل بهدوء داخل المدونة الذكورية بتكوينها الممتد عبر الأجيال، والمضمر النسوي ليس فريدا داخل احتدامات الاستخدام اللغوي بمتونه وصفاته المكورة، في الحاضر اللساني، الأوسع المقرون بالمدونة الذكورية؟ فالمضمر يعرف من المتراكم اللساني، والدلالي ليضفي بعدا آخر على منتجيه من المثقفين، الرجال الين سعوا .. إلى ابتكار أساليب ومفردات ومصطلحات واستخدامات تعزز حضورهم سدنة لفقه اللغة، وتتابع الكاتبة تحريها للمضمر فتقول: "إنّ ما نعدّه خطابا مهمشا يمكن أن يستردّ عافيته تدريجيا و يتنامى، من خلال حركة الاهتمامات الصغرى داخل المدونة من هموم وغرائز وشجون، كذلك نتناول المضمر النسوي من أكثر من زاوية، وخصوصا أنّ حاضنة الغالب هو حاضن غياب، إزاء حضور طاغ لما هو موروث، إذا ينحصر حضور المرأة في فضاءات صغرى كالبيوت والمجالس النسوية وبعض المؤسسات المعرفية، وتطور الأمر إلى ظهور الصالون بصفته الحديثة والمقترن بظهور المجلات، فالصحافة من جانب وصالون الثلاثاء، والذي تديره مي زيادة كانا رافدين مهمين لحركة الكتابة النسوية وفي معنى المضمر و تمثلاته، إنّ المضمر هو كل خروج عن المعنى الحرفي، نحو غيره ممّا يشتق منه، من هنا كان للمضمر وجوه بلاغية متعددة منها الاستعارة، وهي تحتم الابتعاد عن المعنى الحرفي نحو دلالة أخرى ومحمولات يحتمل تقاطعها مع المعنى الحرفي نحو دلالة أخرى ومحمولات يحتمل، وتكثر بين الكاتبات المنقلة بين الاستعارة والكناية والتورية جاء في رسالة مي زيادة إلى باحثة البادية

المنشورة سنة 1913، والتي يضيع فيها القارئ داخل تقاطعات التبليغ والاستعارة **(بيطار، 2012، صفحة 32)**.من أنواعه الجناس التام فقد يتعمّد المضمر تغيير حركات الإعراب ومثال ذلك تلاعب مي زيادة بالجناس التام عند استخدامها مفردتي مَلك بفتح الميم ومُلك بضم الميم. مشيرة إلى غرور الرجل بسطوته، ومن المضمر أيضا الإغارة على التراث المتداول منه الذي يشكل حاضنا أو تشفيرا مشتركا، وتبرع باحثة البادية في استخدام الموروث فترد على رسالة مي زياد المنشورة عام 1902، فتقول: "إلى مي أيتها السيدة شديدة ولكنني أنقلها بتؤدة كأنّي أجر أحمال الحديد .." **(الشيخ، 1994، صفحة 38)**

3.8 التساؤل البلاغي: والذي أن يجاور ما هو بديهي، لأنّ الإيغال فيه، يفضي إلى فائض تأويلي؟ وهذا في عرف البلاغيين العرب أقرب إلى استفهام الاستنكار، وأنّ التساؤل البلاغي بدون إيغال فهو أقرب إلى ما يسميه العرب استفهام الإيناس، وتسوق الكاتبة مثالا على التساؤل البلاغي كتبته مي زيادة في إيضاح ما يصادف العاملات في الصحافة .. متسائلة: " قد لا تقولين أنّي لا أرى من الأمور سوى الوجه القاتم – ولكن ألا تظنين أن الذي يجين دون التحديق في الظلام لا يستحق أن يلمس النور أجفانه" ويعتبر الحذف من أساليب الإضمار، لأنّه ينطوي على إضمار وإخفاء يراد منها التعمية، أو تمرير شيء ما لكن ما يهم في الدراسة هو المحذوف ايهاما " وهو ما يستدل عليه عقلا : مثالا على ذلك تساؤل مي زيادة في ردّها على سعد زغلول فتقول :"لم يخاطبني بالفرنسية؟"، وتتابع مي زيادة :"لماذا يهيني بهذا الافتراض : ولكن المضمر النسوي يمكن أن يدفع بالحذف إلى منتهاه، ومثالنا على ذلك ما فعلته ديزي الأمير 1935 برسائل الشاعر اللبناني خليل حاوي (ت1982) فالرسائل المعنونة رسائل الحب والحياة ظهرت بلا جامع أي أنّها رسائل غفلن لاكما كان ينبغي أن تظهر إذا حفت الكاتبة اسمها فبقيت بلا مرسل.

و لربّما يتساءل لم هذا الحذف؟ يرى دارسوا المضمر أنّ اللياقة أو الرقابة أو التحريم، في مجتمع معين يدفع إلى هذا التستر.

4.8 الخطاب الإشاري: وهو الذي يحمل صفة الإضمار الملغوم، فقد استفاض البلاغيون العرب في"الإشارة" بمعنى الإيماء. وتوسعوا في "أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة". فإنّ الفعل الإشاري يأتي محملا هو الآخر بالمعاني ففيه تلويح وإيماء وتعريض وكناية وتمثيل ولمحة ولغز وتورية وحذف. وتدخل البُنى والتراكيب في المضمر، لأنها تنطوي بلاغة المضمر على مجموعة من المحسنات. التي لا تبدو بوضوح الاستعارات و الجناسات و الطباقات مثلا، لكنها تستمد قوتها من التراكيب، فالمفردة هنا تخرج عن مدلولها الدارج لتستقبل دلالة مستجدة لا معنى لها خارج التركيب، ومثال لك "تساؤل هدى شعراوي: "ألم يكن لنا دورنا في الوقوف جنبا إلى جنب مع الرجل في هذا الصراع؟ فالسؤال ينطوي على إجابة لابدّ منها: "بلا".

5.8 الإسراف في معنى المضمر و تمثلاته: فالإسراف كان المحدثون يستنكرونه كضرب من الإسفاف المزعج، فالرسائل الزينبية أقوى مثال عن فائض المعنى "الإسراف في المعنى" إذ أنّ هناك ضرب من الغلو وراء أسلوب التهكم عند زينب فواز. فهي لا تريد أن تكشف النقاب عن الخطاب الذكوري، الذي أدركته زميلاتها فحسب، بل عن الخطاب النسوي الذي تفترضه وتشتبك معه، وتنتقل الكاتبة إلى الإلماح، أي اختلاس النظر أو الإماءة، الدالة أو بالاختصار أو الإطناب عن فهم. ونورد مثالا على ذلك رسالة مي زيادة إلى طه حسين بتاريخ 24 نوفمبر 1934، التي تهنئه باسترداد مكانته في جامعة القاهرة بعد فصله منها، فتعلق قائلة: "ولا غرابة فأنت عميد بحق (عميد التفاوتات)" هذه الدعابة البريئة محملة بالمضمر، فطه حسين مشهور، ولهذا يكثر الاتصال به، وتضع التخفي وهو وجه من وجوه التورية وهو يتناول القريب قصد بلوغ البعيد، ويدّعي الإضمار قصد الذيوع، والتهكم أيضا ضرب من الإضمار، وهو واسع لأنّ فيه انتقاص محتمل وعتاب لاذع ، بل هو موغل في البلاغة ولهذا يعرف عبد الغني النابلسي: "هو الاستهزاء والسخرية بالمتكبرين في مخاطبتهم، بلفظ الإجلال بموضع التحقير والبشارة في موضع التحذير والوعد في موضع الوعيد" **(الشناوي، 1957، صفحة 30)**.

لقد كانت الرائدات على وعي بلجوء المحافظين داخل الخطاب الذكوري السائد إلى الفرع والأصل، وتضع المواربة في المضمر وهي تعني التلطيف والمداراة والمسايرة بقصد الإيهام ومن ثم إيراد ما يبتغيه الكاتب، والدربة التداولية التخاطبية أو ما يصطلح عليه البلاغيون العرب على تسميته بالكفاءة التداولية التوصيلة هي مضمر لأنّها تتوجه إلى المخاطب من خلال استهداف ميوله وغاياته وأولوياته. وأمّا "صدى الغياب" فيتّخذ المضمر صفة أوسع ، فهو يقف عند نشر (رسالة أخيرة لم ترسل) كتلك التي تصدرت مجموعة رسائل خليل حاوي إلى طالبته نازلي حمادة أو الرسائل التي كتبتهن معجبات وتلميذات وحبيبات إلى كتاب راحلين. وتضع الكاتبة الحبس والمحبوس في المضمر. وذبك لأنّ الحبس هو المضمر داخل المضمر، ومثال ذلك رسالة لطيفة الزيات إلى السجينات (ت1996) وتشير الكاتبة إلى "مضمر القراءة البديلة" فهو يتصدر مجموعة من الرسائل التي عكفت الكاتبة على جمعها وتقديمها للقُرّاء على أنّها رسائل الحبيب الغائب، وتبرز بين هذه الرسائل رسائل غسان كنفاني (ت 1972) إلى غادة السمان. **(السمان، 2009، صفحة 10)**، فالمضمر ليس الرسائل الغائبة بل هو كمضمر للقراءة البديلة لأنّها تسلب القارئ حقه في المراجعة والتحليل والاجتهاد. وتضع "الرسالة الجامع" في المضمر و تمثلاته، وتمثل هذه الرسالة في خطاب الكاتبة المصرية نبوية موسى (ت1951) إلى المستشار البريطاني في وزارة المعارف أيام الاحتلال البريطاني.

والتي استعملت أسلوب التركيب والتبليغ والناية والتعريض والمراجعة، فالمراجعة هي: أن يحكي المتكلم ما جرى بينه وبين الغير، من سؤال وجواب بأوجز عبارة، وهي لهذا توجز من خلال توطين المضمر في "غرفة نومها" التي تؤول مجازا إلى المضمر برمته بما يعنيه من مكبوت ومكبوح ومغلق، ها المضمر الحبيس هو صرخة السجين ولوعة الشاكي وثورة المقموع، فإذا ما عرفنا أنّ المضمر النسوي التفاف على المنع والقمع والكبت والتحريم واستضافة أسلوبية ذكية ولمّاحة ورامزة لكل ما يتيح التوصيل، وبالتالي حضور المدونة النسوية، نرى أنّ الثورة التي مثلها الحسم المذكور و رسالة نبوية موسى إلى السلطة النافذة بمثابة تفجير للمضمر وهدم لأركان القمع و التهميش.

فعالية المضمر في الترسل النسوي: 9.

فعالية المضمر بصفته خطابا تتعدد استخداماته بين الناس، وتستند هذه العالية إلى الدور المسند إليه ، وليس المضمر استخداما ثابتا لأنّ الطاقة التأويلية بين المُرسِل والمُرسَل إليه متغيرة حسب الأزمان والأحوال، فالمتغير الحضاري والصراع الدائر بين اللغات والمتغير الزمني كلها عوامل تؤثر على فعالية المضمر، قد لا تتميز به أخرى، ... لاعتبارات تنشئ أسلوبا معينا وتنشده أيضا، وقد تسلل أسلوب الفاضل عبد الرحيم البيستاني (ت596ه) إلى الترسل النسوي جزئيا لاسيّما في رسائل وردة اليازجي **(ناصف، 2012، صفحة 40)** إلى وردة الترك (ت 1873) وعائشة التيمورية، وتناولت التداولية" والفعالية المضمرة تحت ثلاثة أبواب:

1- **النظام المعجمي:** وهو يتعدّى الملفوظات ليشتغل بالتراكيب داخل الرسالة.

2- **فائض المعنى:** والكفاءة التأويلية لدى المتلقي.

3- **الكوابح والمحرمات:** فحضور هذه الكوابح والمحرمات في الذهن لأسباب مختلفة هو الذي يفرض نظمها المعجمية. **(الخالدي، 2015)**

النظام المعجمي: 1.9

إنّ المُرسِل سواء أكان فردا أم جماعة، والمُرسَل إليه يغرفان من معين شاركت في صنعه الأسرة والتعليم والحركة الاجتماعية أو السياسية وطبيعة المرحلة و زمنيتها، وكما أنّ للمرسل قصد، فإنّ المرسل إليه، قارئ الرسالة، له سبيله وغاياته في فك رموز المضمر في الرسالة. حيث تناولت الكاتبة النظام المعجمي في رسالتي هدى شعراوي إلى سعد زغلول نموذجا ونوال السعداوي إلى حسني مبارك نموذجا، وتناولت فائض المعنى في رسالة نبوية موسى إلى دوغلاس دانلوب نموذجا ورسالة زينب

فواز إلى حسين أفندي فوزي نموذجا، وكذلك الكوابح والمحرمات في رسالتي زينب فواز إلى هنا كوراني نموذجا، و جوليا طعمة دمشقية إلى ابن بلادي نموذجا. **(الصباغ، 1996، صفحة 50)**

فائض المعنى: 2.9

فائض المعنى ليس ضربا من الزيادة، إذا ما صيغ بإتقان فإنّه يحقق غايات متباينة، حسب طبيعة المواقف والاعتبارات ومكانة الشخوص المعنيين. وتشير الكاتبة إلى رسالة نبوية موسى مستشار وزارة المعارف البريطاني ... تتقصد هذا الفيض الكلامي لتوضح له درايتها بسطوته وسلطته غير المحدودتين، فلنتأمل مثالا آخر من هذا الفائض وتبعاته التأويلية لزينب فواز في حوارها المحتدم مع مؤلف (السراج الوهاج عن ذكر العوائد وحقوق الزواج) حسين أفندي فوزي المكنى بابي المحاسن، ويأتي تلاحق زينب فواز في جريدة (فرصة الأوقات) بمثابة الإسراف في المعنى، وتعتبره زينب حتميا، إنّ الحجاج التي تلجأ إليه زينب فواز يستقصي مقولات المتلقي وافتراضاته، بما يعني تكرارها، لكن التكرار تستوجبه حالة الكوابح والمحرمات.

الكوابح والمحرمات:3.9

إنّ فعالية الكابح في تعزيز المضمر لا تقتصر على تحديد ما لا فيه من إخفاء، بل تتعدّى ذلك إلى ما يستوجبه الموقف من أنظمة موسوعية ولسانية بديلة، مثال ذلك رسالة زينب الموسومة (حقيقة إنصاف الحق) والمنشورة في جريدة (النيل) إلى هنا كوراني ردا على مقالتها (الإنصاف) ... ولا يخلو الحجاج بين الطرفين من الإسراف الذي جرت الإشارة إليه، وفعل الكوابح والمحرمات يظهر داخل جبهة الإخوانية في كتابات مطلة القرن العشرين، لاسيّما في الموضوعات التي تدرج في مطالبة المرأة بالمساواة، ونصل إلى نتيجة حول فعالية المضمر فتقول: "إنّها تظهر أكثر عند الكشف عن الكوابح غير المنظورة أو المتداولة وهتك سترها تباعا وتبيان تبعاتها في الحياة العامة، إنّها طاقة المقموع الآخر، أي تلك الذي تسببت في تهميشه مجموعة من العوامل التي جرى التطرق إليها في هذا الفصل . وفعالية المضمر لهذا السبب هي خروج الفرضيات المألوفة بشأن الإسراف وفائض بالمعنى."وذلك لأنّ الرسالة بشقيها الشخصي والعام أو المعلن يحتدم فيها صراع الملفوظ داخل النص الواحد الذي لا يعدو أن يكون صورة أخرى من اجتماع الأضداد أو الخطابات المتنافرة التي تبحث عن ثيمات ومنطلقات و مرابع لها، لتتوالد في شكل اهتمامات واتجاهات وأهواء وحركات وأفكار تشكل المتن الموضوعاتي.

جدلية الحضور والغياب في الترسل النسوي:10.

حيث يشكل العامل الاجتماعي السبب الأشد جورا في غياب النص النسوي في أغلب الثقافات. وفي ثقافتنا بشكل خاص، وذلك لأنّها محمّلة بمتطلبات اجتماعية تدفع بها خارج المتن الكتابي، وإذا ما تداولها جمهور هنا وهناك مشافهة فإنّ أساسها المكتوب هو المخفي الذي تسترجعه الكاتبات من الكتاب الرجال، أي هو النص الغائب، ذلك الذي يقوم الرجال بإتلافه بناء على طلب من المرأة قد يصل إلى درجة الاسترحام، والسبب الأول والأخير في هذا الإقصاء هو الضغط الاجتماعي، فالمجتمع يرفض ظهور المرأة بهواجسها وهمومها، وعواطفها وشجونها، كلّما سعت المرأة الكاتبة إلى الانتماء اجتماعيا، من داخل مؤسسات الزواج والأسرة اشتدّ هذا الضاغط عتوا وبات عاملا أساسيا في تحديد اتجاهات الكتابة وتوجهاتها، ثمّة رقيب داخلي يبتدئ رحلة الإقصاء حتى قبيل الشروع في الكتابة. و"لهذا تكون العبارات مقصية طاقة فاعلة، داخل النص المكتوب، وهكذا يعاني الترسل النسوي سلسلة من الاقصاءات تحيله على هامش النص المكتوب، ومثال ذلك رسالة فدوى طوقان إلى الكاتب المصري أنور المعداوي حيث يقول عن هذه الرسائل رجاء النقاش عن فدوى طوقان أنها اعتصمت بعالمها الداخلي ومشاعرها الخاصة وأقامت بينها وبين الحياة الخارجية نوعا من العزلة الشفافة التي كانت مع ذلك قوية وغير قابلة للكسر، إنّه من خلال الرسائل المنشورة يقودنا إلى المثقف العام، ذلك الذي يتوخى توعية المجتمع، والنهوض به من خلال الفعل والتنظيم والكتابة **(النعيمي، 2014، صفحة 14)**؟ والملاحظ أنّ المثقف العام هو ظهوره كطرف غائب جسدا لكنه حاضر

من خلال المقموعات من الكاتبات والشاعرات. وهكذا يطل علينا مترسلا ، يكتب كما يشاء، وقد احتفظت له المرأة الشريكة برسائله عارفة أنّ رسائلها إليه تنتهي إلى الفقدان المقصود حسب طلب منها أو دراية منه بمشقة ذلك عليها حال ظهورها منشورة، اليوم و لربما غدا.

11. الخاتمة:

وفق نظريات السرد الحديثة واللسانيات ومن خلال اعتماد الموروث البلاغي العربي من ناحية، ومدارس ما بعد الحداثة الشائعة في الثقافات الأجنبية من ناحية أخرى، ومن خلال استقراء النص والميتانص، والغوص في تلافيف رسائل كاتبات عربيات كان لكتاباتهن وشراكتهن في الثقافة العربية طيلة القرون السالفة حضور وفاعلية، وتؤكد أنّ الكتابة النسوية مغيبة، فالمدونة النسوية مقابل المدونة الذكورية تقوم على جدلية الحضور والغياب.

والمدونة النسوية تستعين بالمضمر لتثبت حضورها داخل متوارث غني بالعادات والتقاليد والمفاهيم التي تشكلت غبر قرون. وها المضمر النسوي يتخلل الخطاب الرسمي والمهيمن، وهو حاضر في الترسل تحديدا استجابة لحاجة يصعب الإفصاح عنها، أو يستحيل إعلانها لأسباب متباينة.

فهي التفاف على المنع والقمع والكبت والتحريم ومن ناحية جمالية وعقلية هو استضافة ذكية ولماحة ورامزة لكلّ ما يتيح التوصيل وحضور المدونة النسوية، وهو في بعض الرسائل مثال رسالة نبوية موسى إلى السلطة، بمثابة تفجير للمضمر وهدم لأركان القمع والتهميش.

فاهتمام الباحثين بالكتابة الذكورية في سائر الرسائل وتغييب المدونات النسوية، فالمدونات الذكورية تشكل المتن السائد في الثقافات، وهي تحول غالبا دون التنقيب في أدبيات المرأة، إنّ المضمر النسوي هو استراتيجية الخروج عن هذا التكوين المفرط، لكنّه ليس الإستراتيجية الوحيدة التي تتألف مع غيرها من خطابات المقموعين والهامشيين.

استعانة المدونة النسوية بالمضمر لتثبت حضورها داخل متوارث غني بالعادات والتقاليد والمفاهيم التي تشكله عبر القرون، والترسل النسوي يتفاوت في حجم استخدامه للمضمر وطرائق حضوره بين الكاتبات.

فتقديم غادة السمان للرسائل التي أرسلها إليها غسان كنفاني، تعد تعاقد بين اثنين ضد الموت وضد الموروث العتيق القائم على المكابرة والادعاء والفحولة في غير مكانها وها في نظرها يشكل ثورة على عدوانية التقاليد، التي تنتمي إلى تراث تأسس في مدونات القمع والحيف والإلغاء على حساب إنسانية الثقافة العربية الواسعة، في أيام ازدهارها في عصور الانبعاث منذ القرن التاسع الميلادي والى غاية القرن الخامس عشر. إنّ المرأة الكاتبة الشابة هي القيّمة على الأثر والوصية عليه، كما تفعل غادة السمان وماجدة المالكي في رسائل ماجدولين إلى البياتي ، و أديل بريشي.

الترسل النسوي لم يحقق حضوره داخل الركام الهائل من المعايير والسنن التي اتّكل المجتمع الناطق بالعربية عليها، لاسيّما بين أفراد صفوته العارفة، فهو الجانب المهمل تماما في الكتابة النسوية، خلافا للسرد، كالقصة والرواية، والشعر وكذلك المقالة، ولو بشكل محدود نسبيا".

والملاحظ إلى أنّ الغياب هو الميزة الغالبة في المضمر في الترسل النسوي، وهو غير مدروس في الثقافة العربية المعاصرة، وترى أنّ المضمر النسوي يمكن أن يدفع بالحذف إلى منتهاه ومثال على ذلك ما فعلته الكاتبة العراقية ديزي الأمير برسائل الشاعر اللبناني خليل حاوي "فالرسائل المعنونة رسائل الحب والحياة ظهرت بلا جامع لها، لا كما كان ينبغي لها أن تظهر، إذ حذفت الكاتبة اسمها فبقيت بلا مُرسَل إليه. وجرى طمس المفردات التي تفصح عن عاطفة المرسل أو تنبئ بهوية المرسل إليه.وهكذا يكون الحذف سبيلا للتعمية والتضليل، لكنه من الجانب الآخر يثير رغبة الآخرين في معرفة سرّ المحذوف والحديث عنه، وليس عجيبا أن تستنكر غادة السمان (1942) هذا الحذف".

فالأمر المؤكد الذي يستدعي وعيا ودراية هو أنّ الخطاب الذكوري ليس إنتاجا فرديا. إنّه حصيلة السلوك المتوارث داخل القوى المهيمنة، القوى التي تجعل الموروث المتداول ملكا خاصا بها، توظفه وتسيره حيثما تشاء. إنّه التوظيف الدلالي للغة الضمان هذه الهيمنة، وهي هيمنة تعني ضمنا إقصاء للغريب والطارئ والمناكد لا على صعيد المفاهيم ودلالتها المصاحبة وحسب، بل أيضا على صعيد الشك في قدرة الآخر على خلخلة قواعد اللعبة، لعبة الهيمنة التي تشكل تراكما واسعا من المتداول الذي لا دور له غير زيادة حضوره وبالتالي حماية مكوناته". يتراءى المضمر وفق هذه الدراسة بأقنعة فنية متنوعة مثل الاستعارة، الجناس التام، التساؤل البلاغي، الحذف، الخطاب الإشاري العلاماتي، الإسراف والغلو، الإلماح، التهكم، المواربة، المقابلة، والموازنة، الدربة التداولية التخاطبية، صدى الغياب، الحبس والمحبوس، مضمر القراءة البديلة، الرسائل الجامعة، إنّ الحذف ينطوي على إضمار وإخفاء يراد منه التعمية أو تمرير شيء ما، لأنّ العبارات المقصية تشكل طاقة فاعلة داخل النص المكتوب، وهي في تعبيرها "الغائب المغيب الذي لا يني يطالب بالحضور بصفته الطريد المطرود"، وهي تتصور كاتبة الرسالة وهي تطالب استرجاع ما كتبته بالأمس، وهذا في قاموسها مصادرة فعلية لشخصية المرأة الكاتبة، وانسحاب من عالمها الخاص إلى عالم تفرضه العادات والتقاليد.

نورد مثالا صارخا لإقصاءات الترسل النسوي، من خلال العلاقة "الرومانسية" بين الكاتب المصري الراحل أنور المعداوي والشاعرة الفلسطينية الراحلة فدوى طوقان، ومي زيادة وجبران خليل جبران. هذه الدراسة المنهجية المذيلة برسائل من المدونات النسوية هي شهادة رائعة لجرأة وإبداع كاتبات عربيات رائدات، في زمن محكوم بالإقصاء والتغيب لهن، وهي أنموذج رائع لذكاء المدونة النسوية في زمن الرقيب الأب، الزوج، الأخ والمجتمع، وتمرد على مقصه.

12. قائمة المراجع:

- زكي مبارك،(1934) ، النثر الفني في القرن الرابع، القاهرة ، ط1، دار الكتب المصرية.
- أبو العباس أحمد القلقشندي،(1922) ،صبح الأعشى في كتابة الانشا ، مجلدا القاهرة، دار الكتب المصرية.
- أحمد جاد المولى محمد، (1961) أيام العرب في الجاهلية ، صيدا، بيروت. المكتبة العصرية
- أحمد زكي صفوت، (*1937*)جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، المكتبة العلمية، بيروت.
- سيف بن عمر الأسدي التميمي، (1993)، الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق أحمد راتب عمروس، ط:7 دار النفائس.
- أحمد زكي صفوت، (1937)جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة العصر الجاهلي وصدر الإسلام ،بيروت ،المكتبة العلمية.
- الجاحظ ، (1423 هـ) ، المحاسن والأضداد، مكتبة ومطبعة دار الهلال.
- ابن عبد ربه،العقد الفريد، ، ج3، دار الكتب العلمية
- محمد عبد المنعم خفاجي،(1992)، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، بيروت، ط1، دار الجيل.
- كامل الشناوي، (1957)،الذين أحبوا مي، ط2، القاهرة، دار المعارف
- أرناؤوط عبد اللطيف،(2012)، تأملات في رسائل الأدباء، دمشق، ط1. منشورات الهيئة العامة للكتاب.
- محمد فتوح أحمد، (1987)، النثر الكتابي، القاهرة،مكتبة الشباب المنيرة.
- أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، بيروت، المكتبة العلمية.
- أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، (1327 هـ)،بلاغات النساء ، المكتبة الرضوية، النجف.

- خليل بيطار، (2012)،مي زيادة ياسمينة النهضة والحرية (188-1941)، ، العدد 12، ط1، الهيئة العامة السورية للكتاب منشورات الطفل.
- غريد الشيخ، (1994)،مي زيادة أديبة الشوق والحنين ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- غادة السمان، (2009)،رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، سلسلة دراسات الأدباء.
- ملك حفني ناصف، (2012)،النسائيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
- بثينة الخالدي،(2015) المضمر في الترسل النسوي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1.
- ليلى الصباغ، من الأدب النسائي المعاصر والغربي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة الجمهورية العربية السورية.
- فهد موسى النعيمي، (2014)،الأدب النسوي المعاصر فدوى طوقان أنموذجا ، المجلد41،دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية .